مقال بدون عنوان (هل يكفي أن نقف على شاطئ البحر؟)

هل يكفي أن نقف على شاطئ البحر ونردد كلمة ((عذب)) سبعين مرة، فإذا بالماء المالح ينقلب عذباً فراتاً؟

هل يكفي أن نقف أمام أجهزة الإعلام ونردد كلمة ((سلام)) سبعين مرة، فإذا بإسرائيل تصبح مؤهلة للسلام؟

إن السلام ليس تعويذة ولا شعاراً ولا كلمة سحرية تفتح المغاليق. وانما هو إقرار بالحقوق قبل كل شئ، واستعداد للتراجع عن العدوان والاغتصاب، واقلاع عن استخدام القوة العمياء. وهذا ما لم تبرهن إسرائيل على أنها مؤهلة له، رغم الحديث المتكرر طوال نصف قرن عن السلام وضرورة السلام وعملية السلام وأشواق السلام وعلاقات السلام وثقافة السلام ومفاوضات السلام. وما زال الملح الأجاج ملحاً أجاجاً والجمهور الإسرائيلي ينتخب لرئاسة حكومته آرئييل شارون لا لطيف دوري ولا يوسي ساريد. وما زال الوزن والثقل للجنرالات والحاخامات الذين يرون في الفلسطينيين زوائد طفيلية في المكان بل أفاعي سامة وحشرات ضارة.

تريد إسرائيل أن تظل دولة احتلال إلى ما لانهاية. وليس هناك ذرة من الصدق في حديث ايهود باراك وآرئييل شارون وأمثالهما عن السلام (إلا إذا كان سلام الأمر الواقع). وليس هناك رصيد وراء حديث قلة إسرائيلية مثقفة تدرك خطورة الممارسة الاستعمارية و تحذر من إيقاع الاضطهاد بالآخرين ومن أثر ذلك على شخصية الذين يمارسونها.

ان الأغلبية التي انتخبت ايهود باراك إنما انتخبت فيه منفذ عملية اغتيال كمال عدوان ومحمد يوسف النجار وكمال ناصر في بيروت، واغتيال خليل الوزير في تونس. والأغلبية التي انتخبت آرئييل شارون إنما انتخبت فيه منفذ مذبحة قبية ومذبحة صبرا وشاتيلا. ان الأغلبية تفكر بطريقة أخرى غير طريقة القلة من المثقفين الجيدين في إسرائيل. فالأغلبية أفصحت من خلال اختياراتها عن التشبث بما يمكن أن يدعى (عادة) الاحتلال و (مصالح) الاحتلال،وتمسكت بما ترتب على الاحتلال من صورة كاذبة عما يخص الإسرائيليين وما يخص غيرهم، ناهيك عن أن التربية الصهيونية للأجيال الجديدة المتعاقبة تجعل من كراهية العرب والحقد عليهم بل وقتلهم قيمة سامية عليا. ولعل تلك الأجيال لا تعرف أصلا أن الجمهور الإسرائيلي بأسره جاء من وراء البحار الى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وأخرج أهلها منها وسكن في منازلهم بقوة السلاح.

وأما المصالح الاقتصادية التي نجمت عن الاحتلال في سنواته الطويلة وتزايدت أهميتها سنة بعد سنة فهي عنصر خفي قلما يتحدث عنه أحد، مع أن له أثره الكبير على صورة سلام الأمر الواقع الذي يريده الإسرائيليون. فالعلاقة الاقتصادية القائمة بين إسرائيل وبين الجمهور الفلسطيني في الضفة والقطاع علاقة تسلط واحتكار من جانب المنتجات الرديئة المصنوعة في إسرائيل للأسواق الاستهلاكية الفلسطينية. وليس مسموحاً للفلسطينيين أن يستوردوا أو يصدروا من الدول العربية المجاورة واليها إلا على سبيل الاستثناء. ويحقق الإسرائيليون أرباحاً فاحشة من خلال علاقة الاحتكار هذه، ولعلها أهم سبب في إصرار الإسرائيليين على وضع الفلسطينيين داخل مناطقهم المغلقة التي يقف الجنود الإسرائيليون على بواباتها بذريعة الأمن المقدسة.

وليس من المتصور أن يأتي حاكم إسرائيلي ليقيم سلاماً عادلاً تنتهي معه علاقة التسلط والاحتكار الاقتصادي التي تعود على الاقتصاد الإسرائيلي بأكبر نسبة ربح وأعظم قسط من الرفاه. فمع أن أسواق الاتحاد الأوربي تسبق سوق الضفة والقطاع في كميات السلع التي تستوردها من إسرائيل، فان نوعية السلع الإسرائيلية المتدنية التي تقام لها خطوط إنتاج خاصة في المصانع الإسرائيلية بتكلفة منخفضة وترسل خاصة للضفة والقطاع تحقق للإسرائيليين نسبة من الربح لا يستطيعون الحصول على مثلها في التعامل مع السوق الأوروبية. ولا ينبغي أن ننسى أن اليد العاملة الفلسطينية وهي بدورها قيد علاقة احتكار للسوق الإسرائيلية هي جزء من التكلفة الزهيدة للسلع التي تباع للفلسطينيين بأسعار فاحشة!

هناك إذن ما يكفي من الأسباب الموضوعية التي تجعل السلام حلماً بعيد المنال في ظل المعطيات الحاضرة ناهيك عن الأسباب الذاتية الخاصة بشخص شارون وطابعة الباطني العدواني الحاقد وتحركاته ومشاوراته وملفه الشخصي إجمالا فضلاً عن تصريحاته المعلنة التي يقصد من ورائها الإيحاء للأمريكيين أنه ليس مجرد رجل حرب وانما رجل سياسة أيضاً.

بإمكان شارون أن يقول للأمريكيين ما يشاء أما ضحايا صبرا وشاتيلا وشعبهم المثخن بجراح شارون فيعرفون أنه ليس في جوف شارون من السلام أكثر مما في جوف النمس من الدبس.

وعلينا أن لا نعاود سيرتنا الأولى بتوجيه اهتمامنا وتركيزنا كله على دورات المفاوضات واتصالات العواصم والمحافل الدولية ونغفل وضعنا الداخلي اليومي. فهناك إجماع في الصف الوطني على ضرورة الالتفات إلى جبهتنا الداخلية وإعدادها لجميع الاحتمالات، حتى لو كان الوقت متأخراً ومتأخراً جداً.

لقد صاغ الأخ رئيس المجلس الوطني هذا الإجماع صياغةً معقولة في وثيقته ومبادرته الأخيرة التي تناولت أموراً عديدة وتناولت الصعيد الداخلي المؤسساتي.وبغض النظر عن العنوان الذي اختير لتلك الوثيقة فان مضمونها يستحق التجاوب، لاسيما أنها صادرة عن مرجع شرعي أعلى داخل المؤسسة.. ومن عظام الرقبة أيضاً.

<u>الفلسطينيون لا ينتظرون خيول المعتصم</u>

عودوا إلى مائدة المفاوضات!

أمريكا تقول هذا وقد سحب بوش اقتراحات كلينتون، وشطب شارون تفاهمات طابا، وبات مفهوماً أن كل شئ سيبدأ من نقطة الصفر.

وأمريكا هي أمريكا، وإسرائيل هي إسرائيل. والأشخاص قد يغيرون شيئاً في الأساليب واللهجات وفقاً لمستجدات اللحظة وللرؤية وللتاريخ الذاتي للحكام. أما جوهر المفاوضات فهو ميزان القوى بين الأطراف.

لذلك فان مهمة الفلسطينيين جميعاً لاسيما القوى الوطنية والإسلامية ذات الإمتدادات في العالم العربي والإسلامي أن تسخن خطوط اتصالها مع الأمة وقواها المنظمة في جميع البلاد، لكي تواصل الجماهير ما كانت قد بدأت به من تحركات في شوارع العواصم انطلاقاً من وحدة المعركة وإيمانا بأن الفلسطينيين ليسوا إلا طليعة الأمة وسدها المنيع الذي لا يجوز أن ينهار

أمام زحف السيل الصهيوني التوسعي، وهم أيضا ضمانة الأمن القومي والإسلامي والمفرزة المتقدمة للدفاع عن المصالح العليا للمنطقة..

فلا شيء يضيف إلينا ذرة في ميزان القوى سلماً أو حرباً إلا موقف عربي إسلامي موحد مازالت الأنظمة الرسمية غير جادة فيه وغير جريئة بما فيه الكفاية لاتخاذه على الرغم من إدراكها حراجة اللحظة. والفلسطينيون لم يفكروا يوماً في الانقلاب على أحد ولا في ممارسة العمل السياسي نيابة عن القوى المحلية، ولكنهم لا يستطيعون أن يجاملوا الأنظمة فيمتنعوا عن مخاطبة جماهير الأمة طالبين منها أن تقرع أجراس الخطر للحكام وتطالبهم بالمواقف المسؤولة أمام الله والتاريخ والأجيال القادمة.

الفلسطينيون لا ينتظرون خيول المعتصم ولا بيارق صلاح الدين. ولكن هل هناك أقل من مطالبة إخواننا بالضغط على أولئك الذين يستدفئون بنفطنا شبه المجاني في أوروبا وأمريكا، كي يوافقوا على تشكيل قوة حماية دولية تتمركز بيننا وبين الاسرائيليين وتحول دون تنفيذ الأحلام الجنونية أحلام الترانسفير والمذابح مكتومة الصوت التي هي طابع شارون وحلفاء حكمه الوثيقين؟ وهل هناك أقل من مطالبة إخواننا بالضغط من أجل استعادة حرية الاتصال والتجارة بيننا وبينهم. أليست تلك مسؤوليتهم القومية؟ أم أنهم نسوا أننا كنا ضمن مسؤوليتهم وإشرافهم وكانت الحدود بيننا وبينهم مفتوحة حتى الرابع من حزيران ١٩٦٧؟

أما أن يقال لنا عودوا الى المفاوضات بينما شارون يجهز لتصعيد إجراءات القهر والإكراه والاغتيال والتدمير والتهجير وتقويض النظام المدني فمعنى ذلك أن الجميع لا يريدون مواجهة الحقيقة أو أنهم لا يفهمون مغزى الإكراه وأوضاعه وتفجراته اللاحقة حتماً.

لقطات الأسبوع :

- من كانت في قلبه نزعة للجود وللتكافل فليتحرك في هذه الأيام، فإنها أيام رمادة قصوى.
- لا أشاهد التلفزيون الإسرائيلي عادة ولكني رأيت بالصدفة على شاشته مناظر هدم المنازل و المصانع و الآبار و تجريف الأراضي و الأشجار على شارع المنطار في غزة. هكذا يستعرضونها أمام العالم و لا يتسترون عليها و لسان حالهم يقول: لا نبالي مادامت أمريكا في جيبنا.
- كنت أحسب أن جرائم الهدم و التجريف قاصرة في الفترة الأخيرة على قطاع غزة. ولكن ما حل في الضفة الغربية هو عين ما حل بغزة. وكل ما في الأمر أن ضيق مساحة القطاع واكتظاظه بالناس جعل الكارثة أوضح.
- أظهرت نتائج الاستطلاع الذي أجرته مؤسستان فلسطينيتان حول موضوع العنف ضد المرأة أن ٧٨,٤ % من الفلسطينيين يعتقدون أن بإمكان المرأة أن تتحرر من قيودها عن طريق التسلح بالعلم. ورأى ٧٣% أيضاً أن على المرأة أن تفكر كيف بامكانها أن تصبح زوجة وأماً جيدة بدلاً من التفكير الزائد في حقوقها. ويجدر بالذكر أن المشاركين في الاستطلاع كانوا من الرجال والنساء وليس من الرجال وحدهم. ونأمل أن لا يحزن العاملون والعاملات في المنظمات غير الحكومية لهذه النتيجة، وعليهم أن يكفوا عن تصور الواقع وفق ما يناسب الدور الوهمي الذي قيل لهم انهم سيقومون به، وأن يفكروا في دور حقيقي منتج ينتمي إلى مجتمعهم حقاً.
- ما الفرق بين اليميني واليساري في إسرائيل من حيث نظرتهما الى الفلسطيني؟

اليميني العلماني يراه نوعاً من المخلوقات الذين لا تصلح لهم إلا عبودية السخرية في الأعمال الشاقة الصعبة على اليهود واليميني الديني يراه شوكةً في الجنب ينبغي اقتلاعها.

واليساري يراه واسطة محتملة للمساعدة عبر السمسرة في إنشاء الإمبراطورية الإسرائيلية الاقتصادية في بلاد العرب.

وكلاهما عاجز عن رؤيته صاحب حق وأرض وجديراً بمستقبل مستقل.

- **من المطالع الشعرية الغريبة للمتنبي :**
  كفى بك داء أن ترى الموت شافياً

وذلك ما تستدعيه إلى الذهن جبريات الواقع الراهن إذ تملي على المسؤولين منا أن يطالبوا بالعمل لعمالنا في خدمة صاحب العمل الإسرائيلي، الذين يبني بسواعدهم بيوتاً للمجلوبين اليهود القادمين من جميع بقاع العالم للحلول محلنا جميعاً في أراضينا..

- **كتبت القرادة المحومة حول مؤخرة الحصان الهزيل تقول وتقول وتقول وتزن وتزن وتزن.. هل قرأها أحد فلم يلعن الرجل الذي باعها قلمه؟ أو يلعن الوقت الذي سول لها أنها أكثر من قرادة حائمة هناك؟!**
- **أجرأهم على الادعاء وأقلهم تضحية هو أنهبهم للمال العام.**
- **بين الألقاب التي يستحقها المستوطنون وحماتهم عن جدارة لقب ((أعداء الزيتون)).**
- **الأول بين أقطاب حزب العمل الإسرائيلي الذي أعرب فوراً عن رغبته في وظيفة وزير تحت رئاسة الفائز شارون هو شيمون بيريز. وليس جديداً على بيريز أن يكفر بحزبه من أجل المنصب. ففي بداية مسيرته السياسية سبق أن كفر ببن غوريون حالما خرج من السلطة واعتزل في النقب. وآنذاك أقام بيريز برفقة موشيه دايان حزباً منافساً لحزب العمل اسمه حزب رافي. أما باراك الجاهز لوظيفة وزير الحرب فهو ينفذ مخططه المشترك مع شارون لاقامة كتلة صهيونية كبيرة في الكنيست تحول دون السلام وتكرس الأمر الواقع ومزيداً من الوقائع الاستيطانية على الأرض بذرائع مفتعلة وكاذبة.**
- **عجيب أمر العديد من الإسرائيليين : لا لأنهم يتكلمون عن الفلسطينيين بمنتهى الحقد وحسب ولكن لأنهم يتكلمون كما لو كان الفلسطينيون هم الذين جاءوا من وراء البحار وأخرجوا أهل البلاد من البلاد!**
- **اكتشفت إدارة بوش أن مصالح أمريكا في الشرق الأوسط لم تكن مهددة كما باتت مهددة بوصول شارون إلى الحكم في إسرائيل. ولهذا غيرت رأيها القائل أنها لن تشتغل ((بإعطاء وصفات لعلاج آلام الشعوب)). وقررت الأولوية لجولة يقوم بها وزير الخارجية كولين باول إلى المنطقة. وهذا جيد، شريطة أن يتذكر باول أنه لا يجوز أن يكون امتداداً واستمراراً لمادلين اولبرايت ودينس روس.**
- **يزور مناطقنا حاليا فريق دولي لحقوق الإنسان كان قد صدر بتشكيله قرار من لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة قبل أكثر من أربعة أشهر. وصح النوم يا حقوق إنسان..**

وأعلن المسؤولون الإسرائيليون بالمناسبة أنهم لن يتعاونوا مع اللجنة. وسبق أن أعلنوا عن عدم تعاونهم مع لجنة ميتشيل مع أن ميتشيل (سناتور أمريكي)، واللجنة طمأنت إسرائيل مسبقا أنها لن تمس خاطرها في التقرير الختامي لأعمالها!

- **ظهرت فجأة بعض التحليلات التي نسبت الى باراك أنه بالغ في تقديم التنازلات للفلسطينيين وأنه ضحية التسرع في رغبته بعقد السلام.. الله أكبر.. ألم يقرأ أصحاب التحليلات حديث باراك في وزارة الحرب الإسرائيلية حين قال : إن انسحابه من لبنان كان بغرض كسب**

الجمهور تمهيداً لتنفيذ النية المبيتة والقرار الجاهز بتفجير الموقف في فلسطين، وحين قال : إن (التنازلات) الشكلية الشفوية التي قدمها في كامب ديفيد كانت لعبة لا غير لأنه كان يعلم أن عرفات لن يقبل التنازل عن السيادة على المسجد الأقصى، وأن الصفقة بالتالي لن تتم؟! وألم يشاهد أصحاب التحليلات ما فعله باراك بأعين الأطفال الفلسطينيين وما فعله بأشجار الزيتون الفلسطينية؟!